International Journal of Innovation and Applied Studies
ISSN 2028-9324 Vol. 9 No. 4 Dec. 2014, pp. 1437-1449
© 2014 Innovative Space of Scientific Research Journals
http://www.ijias.issr-journals.org/

الأسس التصميمية والقيم الفكرية في عمارة المسكن اليمني القديم

[Design Basics and intellectual values in the architecture of old Yemen house]

م /أحمد عبد ربه النهمي[1]، أ.د/ علي حاتم جبر[2]، أ.د /علاء الدين عبد المحسن شاهين[3]

[1]قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة ذمار، اليمن

[2]أستاذ تاريخ العمارة، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة القاهرة، مصر

[3]أستاذ تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، كلية الآثار، جامعة القاهرة، مصر

Ahmed Al-Nehmi[1], Prof. Aly Gabr[2], and Prof. Alaa El-Din shaheen[3]

[1]Department of Architecture, Faculty of Engineering, Dhamar University, Yemen

[2]Prof. in History of Architecture, Department of Architecture, Faculty of Engineering, Cairo University, Egypt

[3]Prof. in history and civilization of Egypt and the ancient Near East, the Faculty of Archaeology, Cairo University, Egypt

Copyright © 2014 ISSR Journals. This is an open access article distributed under the ***Creative Commons Attribution License***, which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original work is properly cited.

ABSTRACT: Our knowledge of an ancient architecture of Yemen during a period prior to sixth century AD is still not enough. It needs a lot of research and investigation. This research deals with the house in old Yemen during a period of the ancient Yemen kingdoms since the beginning of first millennium BC even appearance of Kingdom of Himyarite in the first three centuries AD. It aims to identify the design basics and intellectual values of the house. It deals with the house and palace of three kingdoms of old Yemen. They are Saba Kingdom, Qataban Kingdom and Hadramout Kingdom. They were studied and analyzed, and then draw general conclusions on the architecture, and draw a set of design basics and intellectual values of the architecture of old Yemen.

KEYWORDS: Ancient Architecture of Yemen, Yemen's History, Ancient Religion of Yemen, Tower House, Symbolism.

ملخص: لا تزال معرفتنا بالعمارة اليمنية القديمة لفترة ما قبل القرن السادس الميلادي - فترة ما قبل دخول الإسلام إلى اليمن – غير كافية، فهي بحاجة إلى الكثير من البحث والتقصي. يتناول البحث الحالي المسكن في اليمن القديم خلال فترة حكم الممالك اليمنية القديمة وذلك منذ بداية الألف الأول ق.م وحتى ظهور القوة الريدانية (مملكة حمير) في القرون الميلادية الثلاثة الأولى. ويهدف البحث إلى التعرف على الأسس التصميمية والقيم الفكرية للمسكن في تلك الفترة. لذا، فقد تناول البحث عمارة المسكن والقصر لثلاث ممالك يمنية قديمة هي: مملكة سبأ وقتبان وحضرموت، وذلك من خلال انتخاب نماذج معينة للمسكن والقصر، والقيام بدراستها وتحليلها، وتم استخلاص نتائج عامة عن العمارة في تلك الحقبة، واستخلاص مجموعة من الأسس التصميمية والقيم الفكرية لعمارة اليمن القديم خلال تلك الحقبة.

كلمات دلالية: العمارة اليمنية القديمة، تاريخ اليمن، الديانة اليمنية القديمة، المسكن البرجي، الرمزية.

1 المقدمة

صنع الإنسان على اختلاف العصور وتعاقب الأزمان في بقاع مختلفة من الأرض حضارات، تميزت كلٌ منها عن الأخرى، لتعكس روح عصرها ومكانها وبيئتها. ومنها الحضارة اليمنية التي تميزت بأصالتها واستمرارها، حيث تمتد جذورها إلى فترات تاريخية مبكرة، ومن أبرز سماتها الحضارية العمارة والعمران. وبرغم ذلك التميز إلا أنها ظلت بعيدة عن الضوء لفترات طويلة ولم تنل حظها من الدراسات المعمارية المتخصصة.

يتناول البحث الحالي المسكن اليمني القديم وذلك خلال فترة الألف الأول قبل الميلاد، وهي الفترة التي عرفت بفترة حكم دويلات المدن – الممالك اليمنية القديمة، وهي كذلك الفترة التاريخية التي ظهرت فيها الكتابة. وقد حكمت اليمن خلالها عدد من الممالك القديمة هي: مملكة سبأ ومملكة معين ومملكة قتبان ومملكة اوسان ومملكة حضرموت. وفي البداية سيتم استعراض الدراسات السابقة التي تناولت العمارة اليمنية القديمة والمسكن بشكل خاص، بهدف تحديد المشكلة البحثية وصياغة الأهداف البحثية.

تناولت عدد من الدراسات المعمارية المساكن اليمنية وخصوصاً المباني البرجية في صنعاء وشبام حضرموت (العمارة اليمنية التقليدية)، فيما لم تتطرق أيُّ دراسة معمارية تفصيلية للمباني السكنية لفترة ما قبل الإسلام (العمارة اليمنية القديمة). ومن تلك الدراسات دراسة الصليحي (Al-Suleihi, 1992) التي تناولت دراسة الواجهات المعمارية اليمنية؛ لمعرفة العلاقة بين الواجهات المعمارية لمباني مدينة صنعاء والشعر، وعمل نموذج يمكن بواسطته ترتيب العناصر والمبادئ الأساسية لتشكيل الواجهات المعمارية. وتناول فراندا (Varanda, 1994) موضوع التقليد والتغير في البيئة المشيدة خلال الفترة الزمنية قبيل ثورة 1962م وبعدها، وهي تغطي الفترة بين النظامين الملكي والجمهوري. وقام الشيباني وآخرون (2005) بتطبيق القيم والمضامين الإسلامية على المبادئ التخطيطية والتصميمية لطراز صنعاء القديم؛ بهدف قياس معاني الفكر الإسلامي، كما قام الباحثون بدراسة التشكيل المعماري؛ لاستخلاص القيم الروحية والمضامين التشكيلية في واجهات المباني السكنية. وتناول القادري (2006) عمارة الأبراج في وادي حضرموت، دراسة حالة المنزل البرجي التقليدي بمدينة شبام. وقدم المذحجي (2006) توصيف لخصائص التشكيل المعماري والعمراني لمدينة صنعاء القديمة. وتناولت سميرة جميل (جميل، 1999) الخصائص العمرانية لمدينة صنعاء القديمة والاستفادة منها في العمارة المعاصرة.

أما فترة ما قبل القرن السادس الميلادي، فقد تناولت بعض الدراسات العربية والأجنبية العمارة اليمنية القديمة، سواءً من الجانب التاريخي أو الأثري، ولكنها لم تخصص حيزاً كافياً لتناولها من الجوانب الفنية. فتناول بريان دو (Doe, 1971, 1983) جزئيات محددة من العمارة اليمنية القديمة في مؤلفين له، وتناول دي مغريه (De Maigret, 2002) جزئيات من العمران اليمني القديم - معابد ومدن ومدافن - خلال الفترات التاريخية في الألف الأول قبل الميلاد. وتناول عبد الله الشيبة (2000) في كتابه "دراسات في تاريخ اليمن القديم" دراسة نشوء المدينة اليمنية القديمة ومكوناتها. في حين تناول حنشور (2007) في رسالته خصائص العمارة اليمنية القديمة، بهدف إبراز أهم الخصائص المعمارية للمدينة اليمنية القديمة، ومدى التقدم الفكري والخبرة المعمارية والإنشائية التي وصل إليها المعمار اليمني القديم. كما تناول الأغبري (1994) في رسالته "التحصينات الدفاعية في المدن والحصون اليمنية القديمة". وعرضت عزة عقيل وجان بريتون (1996) نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية في كتاب بعنوان "شبوة عاصمة حضرموت القديمة".

ومن الدراسات التي تطرقت في جزئيات معينة للمساكن والقصور اليمنية القديمة، ما قام به دي مغرية وروبن (2006) من أعمال التنقيبات الأثرية لمدينة تمنع عاصمة قتبان، والتي كشفت عن المساكن المحيطة بسوق المدينة، مما أتاح التعرف على المساكن اليمنية القديمة، وتمّ تحليل ثلاثة مباني سكنية حول السوق المركزي لمدينة تمنع. وتمكنت بعض الدراسات من التعرف على التفاصيل الخاصة بعدد الأدوار ووظائف الغرف (Loreto, 2012). وتناول دي مغرية (De Maigret, 2005c) بعض الملاحظات عن المسكن العربي الجنوبي (اليمن) من خلال المقارنة بين نماذج لمساقط المعابد والمساكن والمقابر ومقارنتها بنماذج مشابهة لحضارات مجاورة في نفس الفترة الزمنية. وتناول سنييه (1996) القصر الملكي في شبوة وعمل تصور تخيلي للقصر، كما ناقش الغامدي (1995) "عمارة المسكن وتخطيطه في جنوب شبه الجزيرة العربية في عصر ممالكها القديمة على ضوء المكتشفات الأثرية". وتناول بروتون (1998) "المسكن في مدينة شبوة بين الأصالة وتقاليد المناطق المجاورة". وتناول بريتون (1992) "البيت الشاهق والبيت ذو الفناء في اليمن القديم والمعاصر".

يتضح من ذلك، أن أغلب الدراسات التي تناولت العمارة اليمنية القديمة كانت عبارة عن دراسات وتقارير للتنقيبات الأثرية، كان الهدف منها التوثيق للعمارة اليمنية القديمة، ولم يتم تناول العمارة اليمنية القديمة – فترة ما قبل دخول الإسلام - من منظور معماري، حيث تركزت الدراسات والبحوث المعمارية على دراسة العمارة اليمنية في الفترة التي تلت دخول الإسلام إلى اليمن وخصوصاً في الفترة المتأخرة.

1-1 مشكلة البحث

إن إشكالية فقر العمارة اليمنية المعاصرة، وتغلب المفاهيم والأفكار المعاصرة على المفاهيم الفكرية والثقافة السائدة، أوجد عمارة يمنية حديثة ابتعدت عن إنسانيتها وقيمها الروحية الكامنة في بنيتها المكانية. ويرجع ذلك إلى عدم معرفة ممارسي العمارة والنخبة بالأسس التصميمية والقيم الفكرية لمفردات العمارة اليمنية القديمة، وكذلك عدم توفر بحوث معمارية متخصصة تطرقت لموضوع العمارة اليمنية القديمة. والحقيقة، إن العمارة اليمنية القديمة - أي قبل دخول الإسلام إلى اليمن- لم تحظ بالاهتمام اللازم من قبل المعماريين، بالإضافة إلى أن الدراسات المعمارية التي تطرقت إلى دراسة العمارة اليمنية القديمة اهتمت بالبعد التاريخي الذي لا يتجاوز فترة دخول الإسلام إلى اليمن – القرن السادس الميلادي، ولم نجد أي دراسة معمارية متخصصة تناولت العمارة اليمنية القديمة لفترة ما قبل الإسلام من جوانبها الفنية، وهو ما يشير إلى وجود فجوات وتجاهل لعمارة اليمن القديم من المنظور المعماري.

1-2 الأهداف

يهدف البحث إلى تسليط الضوء على العمارة اليمنية القديمة وبالخصوص المسكن اليمني القديم خلال فترة الألف الأول قبل الميلاد، وذلك بهدف إظهار واستخلاص قيم وأسس التصميم للمسكن اليمني القديم. كما يهدف إلى إبراز حضارة اليمن القديم في المجال المعماري استكمالاً لما قدمته بعض الدراسات الأثرية والتاريخية، كمحاولة منه إخراج عمارة اليمن القديم إلى النور.

1-3 منهجية البحث

اتبع البحث المنهج التحليلي والتاريخي من خلال دراسة نماذج منتخبة للمسكن والقصر من كل مملكة يمنية قديمة. فتم اعتماد المنهج التاريخي للتأكد من تحديد المراحل المتعاقبة للتطور المعماري الذي شهده اليمن خلال تلك الفترة، والمنهج التحليلي لمناقشة النماذج التي تم انتخابها. هذا بالإضافة إلى استخدام المنهج الوصفي والمقارن في جزئيات تستدعي ذلك. هذا وسيتم أولاً البحث عن الجذور الفكرية والتصميمية للمسكن اليمني بشكل عام، ثم انتخاب نماذج معينة لتحليلها والخروج بنتائج عامة.

2 جذور المسكن اليمني القديم

عرّف اليمنيون المسكن في نقوش المسند بمصطلح (بيت)، وهو نفس الاسم الذي أُطلق على المعبد (بيت الإله)، وقد وصف البيت اليمني القديم فقيل إن أبوابه وجدرانه وسقوفه كانت من العاج والأحجار الكريمة، وغلفت أعمدته بالصفائح الذهبية والفضية (بافقيه، 1989). وجاء القصر في نقوش المسند بلفظ "صرحت، صرحة" والصرح بيت واحد يُبنى منفرداً طويلاً في السماء وهو القصر أو كل بناء مرتفع (علي ج8، 1993).

وقد حرص اليمنيون على توكيل حماية مساكنهم العامة والخاصة إلى الآلهة (الحسني، 2012)، فمن تقاليدهم أن يدون صاحب البيت أوصاف بيته وعهد الملك الذي بني البيت في عهده واسم الإله الراعي، ثم يوضع الحجر الذي كتب عليه ضمن البناء كنوع من الزخرفة، ففي نقش (يمن 11) أن "نبط عم زادن من آل معاهر... بنى قصره شبعان وسواه وحفر أساسه، ووقفه باسم الآلهة وعلاه وذلك ضمن سور المدينة قانية ومن أساس القصر حتى قمته"، وفي نقش (Doe 7) أن "بني رأبم آلهن بن ذرا كرب.. بيته (وثعن) من قاعة استقبال (طابق أرضي)، وطابقين عاليين وجدارين من الأساس إلى القمة" (الجرو، 2003).

كما زودتنا نقوش المسند بأسماء العناصر الفضائية للمسكن، فجاء اسم المدخل "مور"، والصالة الأمامية "صولت"، وصالة الاستقبال أو الجلوس في المسكن "محرب" وهي تقابل محراب المعبد، والمطبخ "بسل"، وتسمى الطوابق العلوية "علوهم" أو "علوه" والطابق الأرضي "خطب" أو "سفلة" (الغامدي،

1995)، وجاء اسم الحجرة الأمامية "ذقن"، وقاعة الاستقبال أو المجلس "مسود"، وقاعة الولائم أو الاحتفالات "مألمت"، والسلالم الحجرية والخشبية "أحلين"، والنافذة والشباك "خلف"، والمنور "مصبح"، والأدوار أو الطوابق "بحور"، وسطح البيت "مريم"، وفناء المنزل "فنو" (البريهي، 2000).

وقد أثبتت التنقيبات والأبحاث الأثرية أن المسكن متعدد الطوابق (المسكن البرجي) كان نمطاً رئيسياً عند عرب الجنوب (اليمن) منذ بداية الألف الأول ق.م، وأن التطور الرأسي للبيت إحتاج إلى تخصص حرفي إلى جانب الموارد المالية، لذا يعتقد ظهوره أولاً في المدن (بريتون، 1992). يؤكد ذلك ما كشفت عنه البعثة الأثرية الإيطالية في يلا الدريب عن مبنى متعدد الطوابق، يرجع بنائه إلى بداية الألف الأول ق.م، كما أظهرت الحفريات التي نفذت في ريبون على وجود النمط البرجي منذ القرن الثامن ق.م (بروتون، 1998). ومن ثمّ فإن قصر غمدان الشهير ما هو إلا ثمرة جهد لمراحل تطورية على مستوى الفكر المعماري والإنشائي، فقد بُني القصر في القرن الأول للميلاد واستمر حتى خلافة عثمان بن عفان، وقد قال الربيع بن ضبيع الفزاري فيه "وغمدان إذ غمدان لا قصر مثله... زهاء وتشييداً يحاكي الكوكبا" (الحوالي، 1982).

والملاحظ، أن مسقط المسكن ما هو إلا تكرار لمسقط المعبد؛ وذلك نتيجة للتشابه الكبير بينهما (الشكل 1). ولقد قارن البروفيسور دي مغرية بين مساقط المعابد والمساكن والمقابر، فوجدها تتشابه من ناحية الشكل والتفاصيل مع بعض الحالات التي استبدلت فيها الأعمدة في صالة المعبد بقواطع في المسكن والقبر، ممّا يوحي بوجود نموذجاً معمارياً واحداً تمّ تحويره على حسب الوظائف (De Maigret, 2005c). هذا، واعتبر دي مغرية مسقط المعبد مستوحى من مسقط المسكن، ولكننا نختلف معه ونرى العكس من ذلك، إذ أن مسقط المسكن مستوحى من المعبد؛ كون المعبد بيت الإله، ومن ثمّ فإن هذا النموذج الذي طبق في المقابر والمعابد والمساكن هو دليل على وجود رؤى ومفاهيم دينية مرتبطة بتصور معين يحملها هذا النموذج تتعلق بقصر الإله في السماء. وعليه، فتطبيقه أولاً جاء على المعبد؛ كونه يمثل نسخة طبق الأصل لنموذج بدئي، ويدعم هذا الرأي تأكيد أحد الباحثين عند حديثه عن أصالة تخطيط المعبد اليمني وامتداده ليشمل العمارة المدنية، حيث قارن وشبه تخطيط قصر شبوة ومساكن في ريبون ومشغة بتخطيط المعبد اليمني القديم (العريقي، 2002).

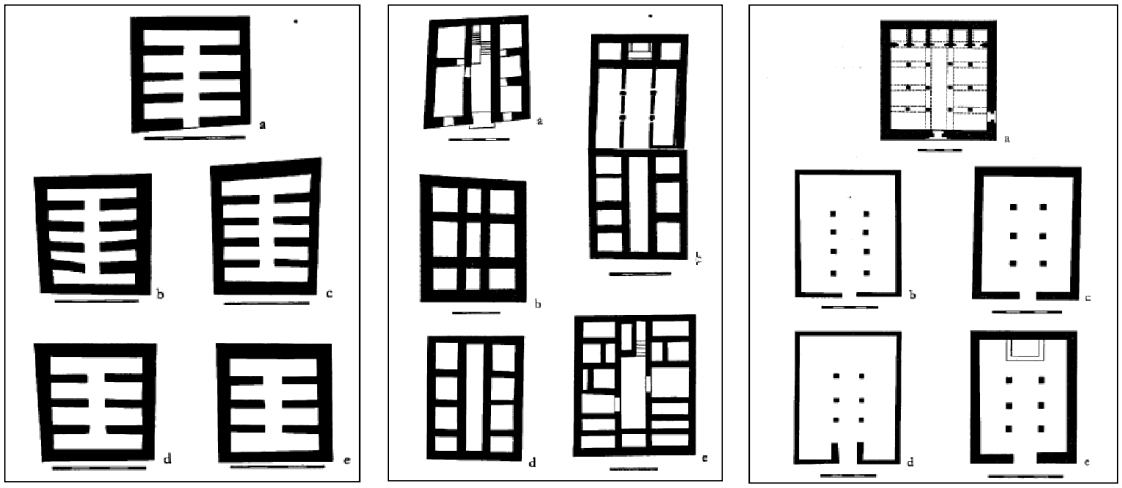

أ- نماذج لمساقط معابد ب- نماذج لمساقط مساكن جـ- نماذج لمساقط مقابر

الشكل 1: نماذج لمساقط المعابد والمساكن والمقابر اليمنية القديمة (De Maigret 2005c)

إن هذا النموذج لم يتكرر أو يشابه أيّ مساقط لمبانٍ سكنية مشابهة للحضارات المجاورة وذلك خلال فترة ظهوره. فقد أثبتت الدراسات الأثرية والنقشية أن تصميم المسكن الكلاسيكي في المدن الإغريقية، كان عبارة عن وحدات مستطيلة مغلقة من الخارج، وتفتح الأبواب والنوافذ على فناء داخلي (الشكل 2). واختلف نموذج تصميم المسكن الكنعاني (الشكل 3)، والذي كان عبارة عن مسقط له فناء وسطي، وجاء مسقط المسكن الفلسطيني الذي يعود إلى فترة بداية الألف الأول ق.م، والذي يُسمى المسكن ذو الأعمدة قريب الشبه بمسقط المعبد اليمني ذي الصالة المعمدة، وهو عبارة عن مسكن يحمل سقفه صفان من الأعمدة الحجرية، والذي يمثل نموذجاً فلسطينياً (Schloen, 2001).

وقد عمد دي مغرية بمقارنته بالمسكن اليمني، ولكن كما سنرى لاحقاً فإن المسكن اليمني لم يستخدم الأعمدة في مسقط المسكن، بل كان الدور الأرضي والأدوار الأخرى عبارة عن جدران تقسم المسقط إلى غرف تستخدم كأماكن خزن وخدمات أخرى. وعلى الرغم من تشابه المسقط في طريقة تقسيمه إلى صالة وسطية تفتح عليها الغرف المجاورة، فإن الاختلاف واضح، حيث يحتوي المسكن اليمني على ممر وسطي يربط الباب مع الدرج الحجري الذي يقع نهاية الممر، فيما لا يحتوي المسكن الفلسطيني على درج يقع نهاية المحور، بل ينتهي بغرف مستطيلة، تأخذ الضلع الخلفي للمسكن بالكامل، وتنفتح على الصالة الوسطية، كما أن الصالة الوسطية ذات عرض كبير مما يطرح احتمالية أنها عبارة عن فناء وسطي مفتوح على السماء.

واما من ناحية الشكل الخارجي للنمط البرجي في اليمن القديم، فيمكن تكوين فكرة عنه من خلال المقارنة مع المسلات الأكسومية (الشكل 4)؛ كون الأسس المعمارية للثقافة الأثيوبية خلال الألف الأول ق.م قد استقت مبادئها من ثقافة جنوب الجزيرة العربية (اليمن)، فكان الشكل المعماري للمسلات مستوحى من الأشكال المعمارية الأكسومية واليمنية القديمة، فيرى عبد الله الشيبة أن هذه المسلات تمثل مرحلة متطورة للصخور التي كانت تنصب عمودياً (الشيبه، 2000)، وهي تُعبر عن "بيت الإله" أو إله الشمس السبئي أو عدد السماوات، وقد جاءت من جزءين هما: المنصة والنصب (المسلة)، حيث المنصة في الأسفل تحاكي قاعدة المذبح (المبخرة أو المائدة المقدسة) في وظيفتها، وقسمت الواجهة إلى طبقات (أدوار) بكلّ منها تجويفات أو نوافذ وهمية، ويفصل بين الطبقات إفريز أفقي من الدوائر (Van Beek, 1967).

والغاية من المنصات هي أن تكون بمثابة الوظيفة التي يقوم بها المذبح (المائدة المقدسة) كمكان لإسالة دماء الأضاحي أو مكان للتقدمات الخاصة بالقرابين (Van Beek, 1967). ويعتقد الشيبة أن هذه المسلات ترمز إلى المساكن البرجية متعددة الطوابق، فهي تحاكي تماماً البيوت البرجية التي مازلنا نراها في صنعاء وشبام حضرموت، كما أن زخارفها الجانبية تحاكي فنّ البناء العربي الجنوبي القديم - اليمن قديماً (الشيبه، 2000).

ومن الرسوم الصخرية للقصور يتضح أن البناء كان برجياً، ويظهر من واجهته أنها شبيهة بالمباني البرجية التقليدية؛ فهو عبارة عن كتلة تتدرج ارتفاعاتها لتنتهي بكتلة المفرج، كما تظهر الواجهة غنية بتشكيلاتها وزخارفها، حيث النوافذ المتعددة والأحزمة الأفقية التي تفصل الأدوار، وكذلك البروزات في جميع أركان

المبنى. وتظهر غرفة في قمة المبنى تشابه غرفة المفرج في مساكن صنعاء القديمة، ويتضح ذلك من الرسوم الصخرية للقصور مثل رسم ريمة حميد (الشكل 5)، علاوة على وصف غرفة الملك في قصر غمدان.

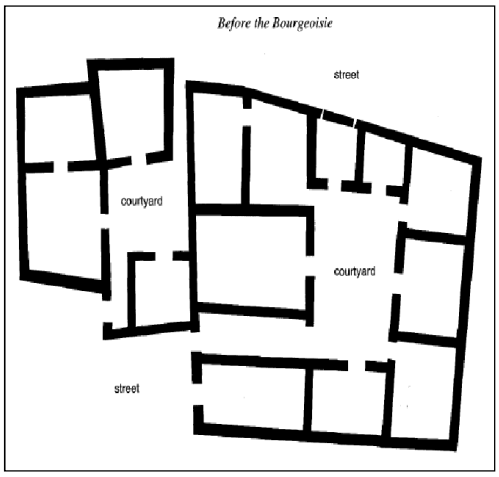

الشكل 2: مسقط لمسكن إغريقي
(Schloen 2001)

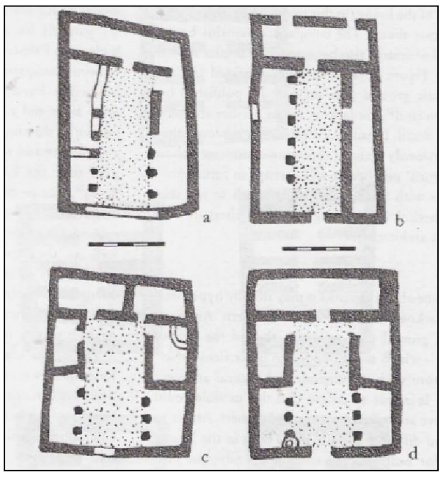

الشكل 3: نماذج من المساكن الفلسطينية
(De Maigret 2005c)

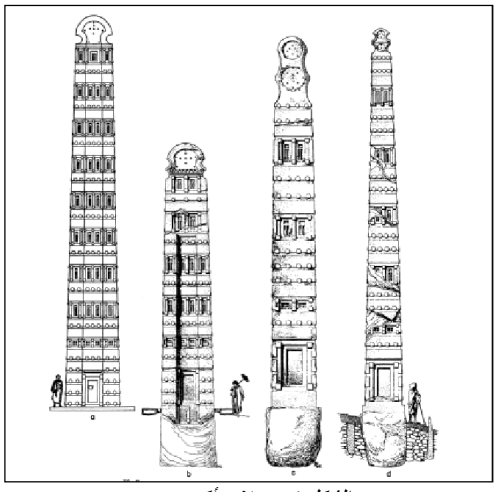

الشكل 4: مسلات أكسوم
(Van Beek 1967)

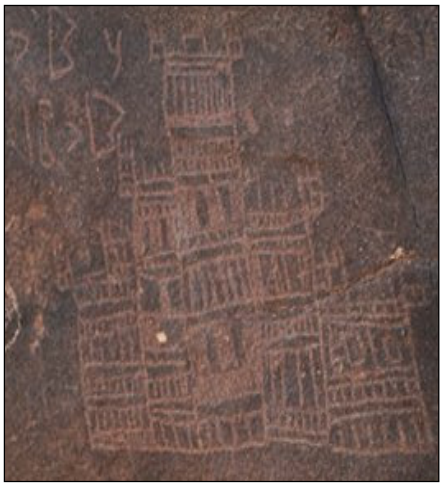

الشكل 5: الرسم الصخري للقصر الذي كشف عنه في ريمة حُميد إلى الجنوب الشرقي من مدينة صنعاء (الانترنت)

3 الدراسة التحليلية

لاجراء الدراسة تم انتخاب نماذج للمساكن والقصور لثلاث من الممالك اليمنية القديمة، هي:

3-1 المسكن في مملكة سبأ

تعتبر مملكة سبأ أهم مملكة في جنوب الجزيرة العربية (اليمن)، وقد تشكلت المملكة باندماج ثلاث قبائل لتشكل ما عرف بقبيلة سبأ، والتي اتخذت من مدينة مأرب، وصرواح مناطق استقرار لها. وقد ازدهرت مملكة سبأ لمدة 13 قرناً بدءاً في القرن العاشر ق.م، وأقدم نقش ذكرت فيه يعود إلى القرن الثامن ق.م، واستمرت إلى القرن الثالث الميلادي (حنشور، 2005). وبلغت مملكة سبأ درجة كبيرة في عهد كرب إل وتر، حيث بُنيت المباني الدينية الضخمة، مثل معبد أوام، ومعبد بران في مأرب، ومعبد إلمقة وعول صروح في صرواح، ومعبد معربم في المساجد، وفي القرن السابع ق.م تم إنشاء سد مأرب بمخارجه الضخمة، وقد اتخذت المملكة مدينة مأرب عاصمة لها، حيث ذكرت في النقوش "هجرن\ مرب أو مريب" (الشيبه، 2000).

سيتم دراسة مسكن في مدينة يلا الدريب، وقصر صرواح في مدينة صرواح، كون معالمهما واضحة.

أ- مسكن في يلا الدريب

تقع مدينة يلا الدريب في وادي "يلا"، على بعد 30 كم إلى الجنوب الغربي من مدينة مأرب، وتمثل مدينة يلا الدريب نموذجاً للمدن السبئية المبكرة، حيث وجدت على تل طبيعي يرتفع عن مستوى الوادي، ويظهر من تخطيطها صغر حجمها. وقد اثبتت الدراسات الأثرية ان تاريخ أقدم طبقة للمسكن محل الدراسة ترجع إلى النصف الثاني من الألف الثاني ق.م، وأحدث طبقة إلى النصف الأول من الألف الأول ق.م (دي مغرية وروبان، 1999). ويقع المسكن في الجهة الشمالية للمدينة العليا، بحيث يفتح بابه على شارع يقع بين المسكن وبين سور المدينة، فيما تطل واجهة المبنى الخلفية على الساحة الوسطية للمدينة العليا، ويتكون المبنى من قسم مربع الزوايا، مع بعض الأقسام التي أضيفت على جانبيه، ويتناظر البناء في الواجهة على جانبي الباب ذي المصراعين يقود إلى الدهليز (الصالة)، وعلى جانبي الباب في الواجهة نافذتان (دي مغرية وروبان، 1999) (الشكل 6)، وتتجه الواجهة الرئيسية للمبنى باتجاه الجنوب الشرقي، وأركان المبنى متجهة إلى الجهات الأصلية.

صُمم مسقط المسكن بشكل مستطيل، يقسم الدور الأرضي ممر وسطي يصل بين الباب وسلم ذي اتجاهين يقود إلى الطابق الثاني. ويلاحظ من تصميم المبنى عدم ضبط زوايا أركانه عند التأسيس، أما التنظيم الوظيفي للمبنى، فقد استخدم الطابق الأرضي كغرف لخزن المحاصيل ومجمعات للمياه، حيث وجد أحواض من بلاطات حجرية، كما أن ارتفاع مدخل القسم الشمالي مرتفع مما تطلب درجاً خشبياً لبلوغه (دي مغرية وروبان، 1999). واستُخدم الطابق العلوي للساكنين، وهو يتكون من صالة (ممر) مستطيلة وغرف على جانبيها. هذا وبُنيت جدران المبنى بشكل مزدوج من أحجار صغيرة جُلبت من الجبال القريبة من الموقع، أما التسقيف فهو عبارة عن عوارض خشبية مُدّت في الاتجاه القصير لبحور الفضاءات، حيث وجدت آثار الحُفر التي كانت تثبت عليها العوارض على جدران الممر. أما الواجهة الرئيسية فإنها تتشكل من مدخل ونوافذ مستطيلة، فالمدخل عبارة عن باب بعرض الممر، والنوافذ مستطيلة الشكل وجدت منها اثنتان في جدار الواجهة الرئيسية على جانبي المدخل (الشكل 7).

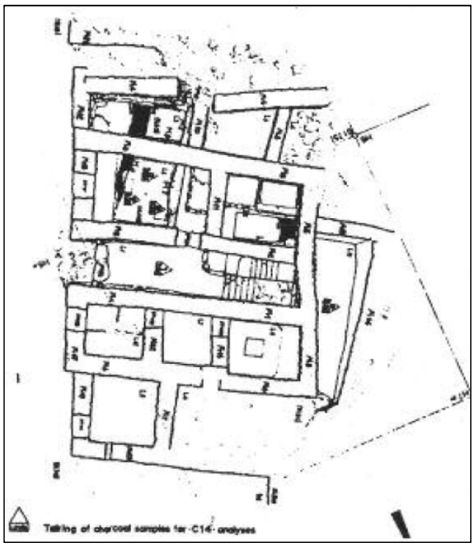

الشكل 6: مسقط لمسكن يلا (ديمجريت 1999)

الشكل 7: منظر عام لمسكن يلا (الباحث)

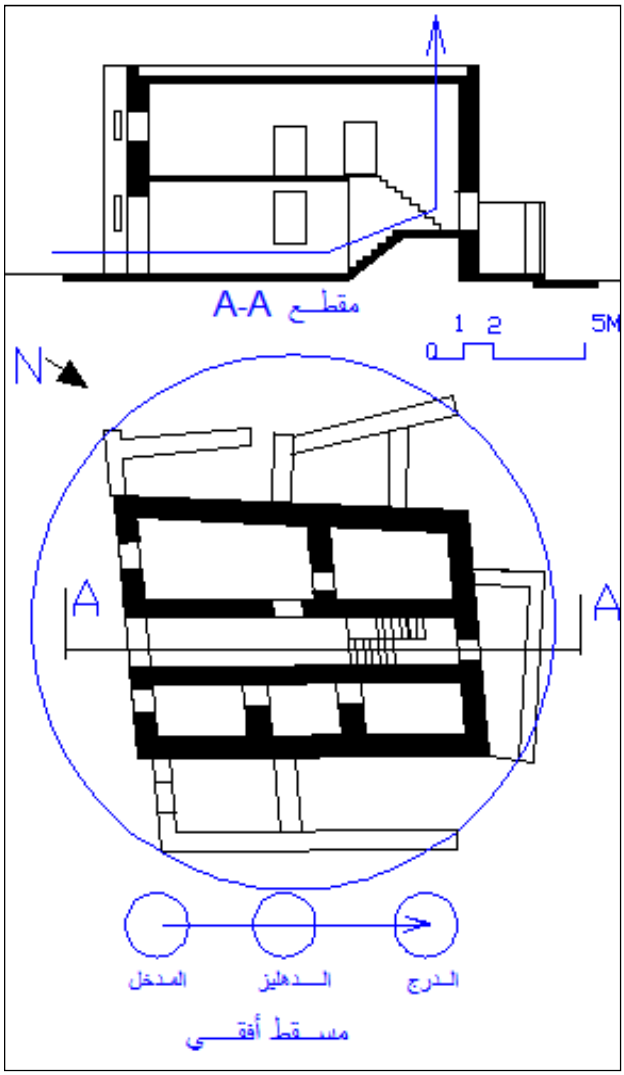

الشكل 8: مسقط ومقطع تخيلي للمسكن (الباحث)

ب- قصر صرواح (المبنى الإداري)

تقع مدينة صرواح على سفح جبل يبعد 40 كم غرب مدينة مأرب، وعلى مساحة تتجاوز 6 هكتارات، وجاءت متماشية مع طبوغرافية الموقع الذي أُقيمت عليه، وتم تخطيطها داخلياً بشكل شبكي للشوارع التي تربط أجزاء المدينة شرق - غرب، وشمال – جنوب. وللمدينة شارع رئيسي يقسمها إلى قسمين شرقاً وغرباً. ويقع معبد إلمقه (وعول صرواح) في الركن الجنوبي الشرقي من المدينة، وفي منتصف الجهة الشمالية يوجد القصر أو مبنى إداري.

وقد تمّ توقيع مبنى القصر (المبنى الإداري) بتوجيه اركانه إلى الجهات الأصلية مع ميل بسيط باتجاه. ومسقط المبنى على شكل وحدتين معماريتين إحداهما مستطيلة في الجهة الشمال، والأخرى على شكل حرف U في الجهة الجنوب، وتمّ رفع المبنى الشمالي على منصة ارتفاعها 12 م، ويوجد أمامه ساحة تشكلت من المبنى الجنوبي ذي الأروقة من ثلاث جهات هي الجنوب، والشرق، والغرب (الأشكال 9، 10).

يتم الدخول إلى المبنى الجنوبي من خلال درج (سلم) يؤدي إلى المدخل الذي تتقدمه صالة خارجية، ويتم الدخول إلى المبنى الشمالي على صالة معمدة بستة أعمدة، وتتوزع الغرف على جانبيها. وتصميم المبنى ونظامه الإنشائي يشير إلى ان المبنى الشمالي كان متعددة الطوابق وكان خاص بالملك كسكن له وللأسرة، اما المبنى الجنوبي فكان عبارة عن دور أو دورين فقط، وكان خاص بأستقبال الزوار واماكن لسكن الحراسة. ومن جانب آخر، فقد صُمم قطاع المبنى بمناسيب مختلفة يصل إليها عبر (سلالم) أدرج حجرية، فيتغير المنسوب الخارجي عن منسوب المدخل الجنوبي وعن منسوب الفناء الداخلي، كما يتغير منسوب الفناء الداخلي عن منسوب المبنى الشمالي.

وقد بُني المبنى بتقنية هيكلية خشبية وطين مع قاعدة حجرية، وتمّ تغطية الواجهات بألواح حجرية مزينة، وبُنيت الجدران بأسلوب البناء المتدرج، الذي تتراجع فيه المداميك العليا عن التي تحتها (الشكل 11). ويحمل تصميم المبنى عدداً من المعاني، منها أن المبنى يقع على نهاية المحور، الذي يربط المعبد في الجنوب وينتهي بالقصر في الشمال، فيبدو المبنى مسيطراً على المدينة، وجاء مسقط المبنى من مستطيلات كنمطٍ سائدٍ، والبناء كان متدرجاً يرمز إلى الصعود الروحاني. كما تم توجيه المبنى لتتجه أركانه إلى الجهات الأصلية فيشير بذلك إلى جهات الدنيا الأربعة (الشكل 12).

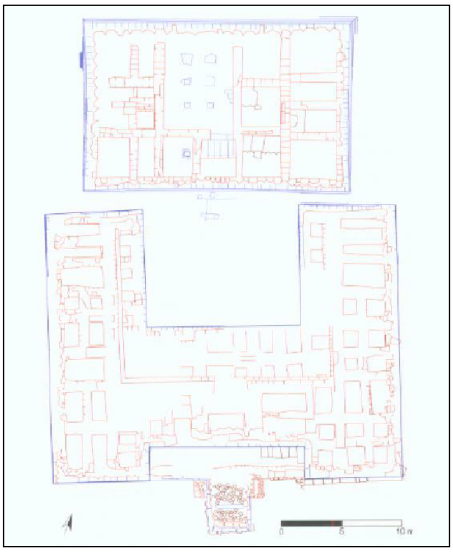

الشكل 9: مسقط للمبنى (Japp 2012)

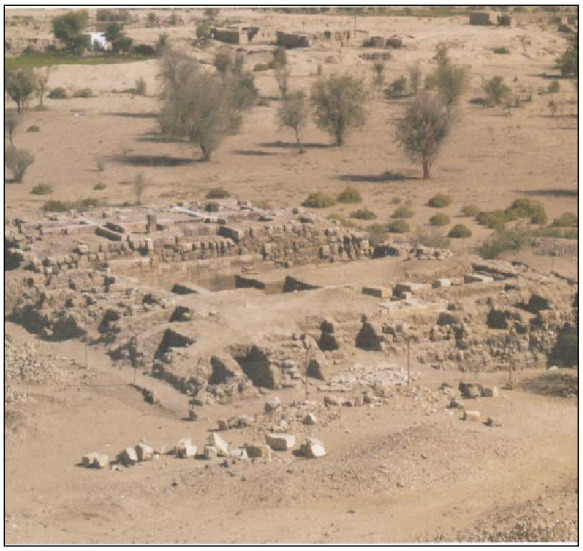

الشكل 10: منظور عام للمبنى (Japp 2012)

الشكل 11: تقنية البناء في المبنى الشمالي (الباحث)

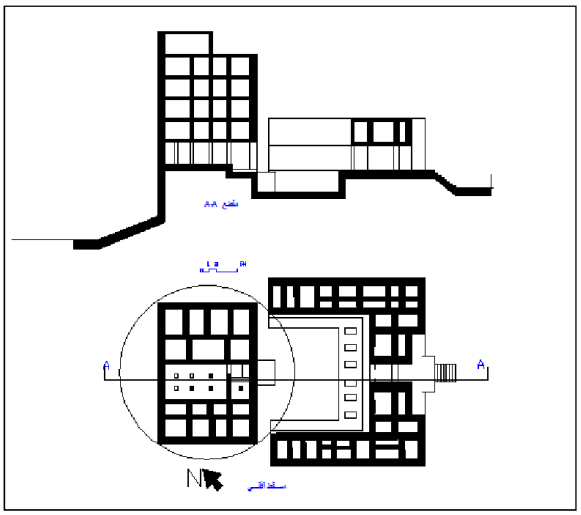

الشكل 12: مسقط ومقطع تخيلي للمبنى (الباحث)

3-2 المسكن في مملكة قتبان

اختلف الباحثون في تحديد بداية التكوين السياسي لمملكة قتبان، فمنهم مَنْ يرى أنها ترجع إلى نهاية الألف الثانية ق.م، ومنهم مَنْ يرى أنها في بداية الألف الأول ق.م، أما عن نهايتها فكان أثر حريقٍ مدمرٍ قام به ملوك سبأ وذو ريدان في القرن الثاني الميلادي (حنشور، 2005). أما حدود مملكة قتبان فهي تمتد إلى الشمال الغربي حتى حدود مدينة ذمار، وإلى الجنوب حتى حدود مدينة عدن ومضيق باب المندب. وكانت عاصمة المملكة هي مدينة تمنع (هجر كحلان حالياً), والتي تحتل موقعاً متميزاً يسيطر على مخرج وادي بيحان إلى صحراء صهيد، وعلى هضبة ترتفع 20م على مستوى الوادي (دي مغرية وروبان، 2006).

أظهرت التنقيبات الأثرية في مدينة تمنع مجموعة من المساكن، وهي المساكن القريبة من البوابة الجنوبية والمساكن المحيطة بالسوق، والتي يرجع تاريخ بنائها إلى القرن الثالث ق.م، وقد دمرت في القرن الثاني الميلادي (Loreto, 2012). وقد تمّ إنشاء مساكن المدينة سواء التي تقع في الجنوب، أو التي تقع حول السوق بمساقط مستطيلة على قواعد حجرية ضخمة سمك جدارها يتراوح بين 80 و100سم، ولها مدخل واحد مرتفع عن مستوى الأرض، يتم الصعود إليه عبر درج خارجي يؤدي إلى مستوى المدخل الذي يشكل بداية الممر الوسطي، والذي ينظم التنظيم الفراغي للمسكن حوله، وينتهي هذا الممر بسلم حجري يؤدي إلى الأدوار العليا وفضاء الاستقبال في الطابق الأخير. وقد أكدت النقوش بأن فضاء الاستقبال "المسود" كان في الطابق الأخير وأنه مكون من غرفتين إحداهما تسمى "صرحة" والأخرى تسمى "صالة" (بروتون، 1998).

ومن خلال دراسة تمت على احد المباني اتّضح أن الدور الأرضي استُخدم كفضاء معيشي، حيث قُسم إلى سلسلة من الغرف تتعامد جدرانها على الممر المركزي، واستخدمت هذه الغرف لأغراض الطبخ والخزن، وقد دلّت المخلفات الأثرية التي وجدت فيها أن هذه المباني السكنية صُممت كمبانٍ متعددة الأدوار من

طابقين أو ثلاثة طوابق، وبُنيت جميع المساكن على قاعدة حجرية يتراوح ارتفاعها بين 2.5- 4م، ولا تحتوي على نوافذ، وهذه القواعد تعتبر أساساً للهيكل الخشبي المحشو بالطين لجدران الأدوار العليا، كما بُنيت الجدران الداخلية مرتفعة عن الجدار الخارجي، حيث استُخدمت هذه الغرف كمخازن تجارية (Loreto, 2012).

لقد بُنيت المباني حول السوق خلال الفترة الواقعة بين القرنين الرابع والثالث ق.م حسب عينات الكربون 14 على العوارض الخشبية (دي مغرية وروبان، 2006)، حيث بُنيت من الطين والهياكل الخشبية، وتمّ تكسية الجدران بألواح حجرية زخرفية منها ما وجد في البيت B/H (Loreto, 2008): زخارف النوافذ الكاذبة التي تتشكل من مستطيلات متدرجة ومتراجعة في مساحتها للداخل، وزخارف عبارة عن ألواح حجرية تتشكل الزخرفة من خطين عموديين ويعلوهما عدد من الخطوط الأفقية، ويتم معالجة حجر بناء الواجهات الخارجية بصقل حوافاها وترك وسطها خشناً.

أ- مسكن تمنع المبنى B\B

يقع المسكن تحت الدراسة والذي سمي في النقوش (بيت ياعود) في الجهة الجنوبية من سوق تمنع ضمن سلسلتين من المباني الخاصة أحداهما في الشرق والأخرى في الجنوب مكونه مع بعضها ساحة بزاوية قائمة هي ساحة السوق، هذا وتتخلل المساكن أزقة ضيقة سدت لمنع المرور إلى السوق، إلا عبر شارع واحد واسع (دي مغرية وروبان، 2006). وصمم المسكن بمسقط مستطيل، وتوجية أركانه إلى الجهات الأصلية، ويحيط بالمسكن من الشمال الشرقي والجنوب الغربي شوارع ضيقة تتفرع من ساحة السوق، فيما ألصق المبنى B\C عليه من الجهة الجنوبية الشرقية (الشكل 13).

لقد صُمم مسقط المسكن بأبعاد 9.60*7.80م، له دهليز مركزي (صالة) تتوزع عليه الغرف من الجانبين، وله مدخل واحد في الجهة الشمالية الشرقية يتم الصعود إلى مستواه بواسطة درج حجري (سلم) على جانب الجدار (الشكل 14)، وينتهي بصحن أمام الباب يتم الانتقال من خلاله إلى الدهليز، الذي يكون سطحه مبلطاً بصفائح، وهذا الدهليز يؤدي في عمقه إلى درج (سلم) يرتكز على الغرفة الوسطية الواقعة في عمق الدهليز والذي يؤدي إلى الطابق العلوي (دي مغرية وروبان، 2006)، ويُفتح على الدهليز عدد من الغرف المستطيلة تمتاز بعرضها الصغير وسماكة جدرانها (الشكل 15).

والحقيقة، ان سماكة القواطع الكبيرة كانت لأغراض إنشائية؛ وذلك لحمل جدران الأدوار العليا وسهولة التسقيف، فالمبنى يتكون من طابقين علويين، وسقف مستوٍ، ونوافذ مربعة ومستطيلة (Loreto, 2011). وقد بُني المسكن على قاعدة حجرية ضخمة من أحجار جرانيت كبيرة الحجم إلى ارتفاع أكثر من 3م، وأُلصق على جداره الجنوبي المبنى B\C، ثم بُنيت الأدوار العليا بواسطة الهياكل الخشبية والطين، وتمّ تكسية الجدران الخارجية بألواح من الحجر المصقول، وزُخرفت الواجهة بعدد من أنواع الزخارف (دي مغرية وروبان، 2006).

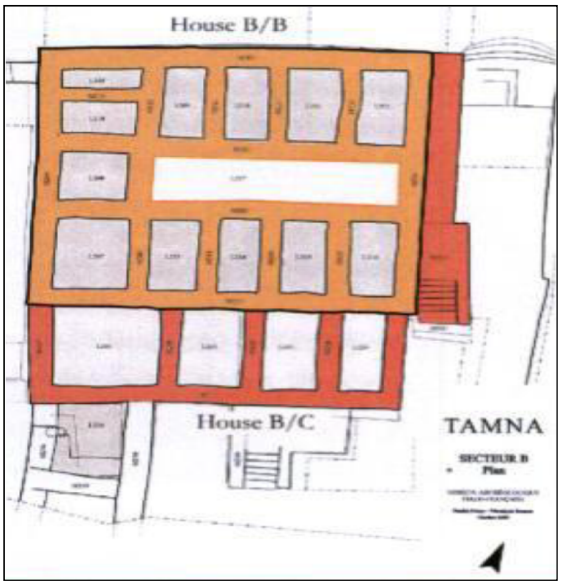

الشكل 13: المسكن B\B في سوق مدينة تمنع (دي مغريه وروبن 2006)

الشكل 14: الدرج الصاعد إلى المدخل (الباحث)

الشكل 15: الغرف والقواطع الفاصلة للمسكن (الباحث)

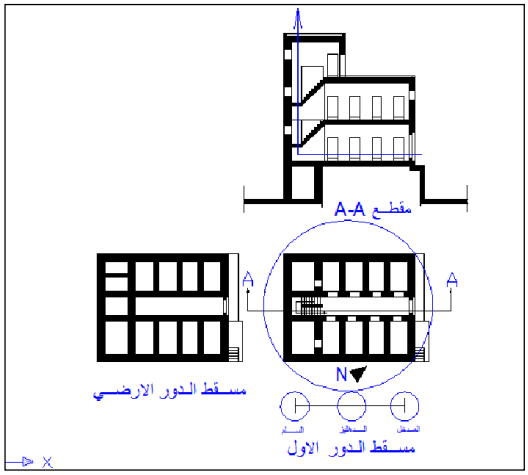

الشكل 16: مساقط ومقطع تخيلي للمسكن B\B في تمنع (الباحث)

ب- قصر تمنع – المبنى الكبير (TTI)

ينبغي التنويه إلى أن المبنى الكبير (TTI) في مدينة تمنع يعود إلى القرن الثامن أو السابع ق.م، وقد مرَّ بناؤه بعدة مراحل: المرحلة الأولى في القرن الثامن أو السابع ق.م، حيث بَنِيت الجدران السفلية، والمرحلة الثانية في القرن السادس ق.م، حيث بُنِيت جدران البناء، والمرحلة الثالثة في القرن الرابع ق.م، حيث بُنِيت الساحة والدرج، والمرحلة الرابعة في القرن الأول ق.م حيث بُنِيت الحجرات والغرف الغربية التي كانت تستخدم كمستودعات، وقد ظهرت التأثيرات الهلينسية في هذه المرحلة (الجرو، 2003). هذا واختلف الباحثون حول نوعية المبنى هل هو قصر أم معبد؟ حيث اعتبره الإنجليزي (دو) معبد عثتر، في حين اعتبرته البعثة الأثرية الفرنسية، التي عملت في شبوه عاصمة حضرموت القصر الملكي حريب، بينما اعتبره الحسني معبد الإله عم ذو دونم (الحسني، 2012).

لقد تم توجية المبنى باتجاه الجهات الأصلية مع ميل بسيط يجعل من محور البناية الرئيسي يتجه بزاوية 99 من الشمال باتجاه الشرق. ومحور المبنى الرئيسي – أي محور المدخل مع العمق الداخلي للمبنى- باتجاه الغرب إلى الشرق، ثم تحول المدخل باتجاه الشمال نظراً لإضافة البناية الغربية (ب)، كي تتماشى مع التخطيط العام للمدينة، وربما لارتباطها بالسوق أو الميدان أو غيره (الشكل 17).

وقد مر بناءه بعدة مراحل: المرحلة الأولى هو البناية الشرقية (أ) وصُممت على نمط المعابد السبئية، وهذا واضح من خلال المدخل الرئيسي والذي يميز مداخل المعابد اليمنية القديمة. وصُمم جدار المبنى على شكل بروزات – ناتىء وغائر – بالاسلوب الذي صُممت على نمطه أسوار المدن اليمنية القديمة (الشكل 18). هذا ويكون الدخول إلى الفناء عبر مدرجين (سلالم) في الشمال والجنوب، حيث الدرج الشمالي أكبر وبعرض 9.5م. وصُمم قطاع المبنى بمناسيب مختلفة يصل إليها عبر (سلالم) أدرج حجرية، فيتغير المنسوب الخارجي عن منسوب الفناء الداخلي، كما يتغير منسوب الفناء الداخلي عن منسوب أرضية المبنى الرئيسي.

ويتم الدخول إلى المبنى الرئيسي الواقع في الجهة الشرقية من خلال مدخل في الجهة الغربية يتقدمه مظلة بارزه تحملها ثمانية أعمدة لاتزال قواعدها المستطيلة في مكانها. ويتكون المسقط الأفقي للمبنى الرئيسي (أ) من شبكة من الجدران المتقاربة والتي تمثّل أساسات لجدران الطوابق العلوية. ومن كمية الكتل المتراكمة على السطح، علاوة علي الدراسات الأثرية التي أجريت عليه يؤكد الباحثين انه مبنى متعدد الطوابق ذا ارتفاعاً كبيراً شبيه بقصر "شقر" الذي سيتم مناقشته لاحقاً. اما المبنى الغربي (ب) فله فناء وسطي ينخفض بمقدار متر عن مستوى المبنى الشرقي، ويحيط به أروقة تحملها أعمدة من ثلاث جهات، ويوجد في الجهة الغربية سلسلة من الغرف كانت مستودعات ومخازن، هذا ويتم تصريف مياه الأمطار الساقطة على الفناء عبر قناة تؤدي إلى حوض حجري خارج المبنى لتجميع المياه (دي مغرية وروبان، 2006).

ومن جانب آخر، فقد زخرف البناء بالكوات الجدارية – النوافذ الوهمية – وبألواح حجرية عليها رموز الهلال والقرص، ورموز اخرى كالكف (اليد) ورسم للخنجر (العريقي، 2002). كما استخدمت النسب الذهبية في تخطيط المبنى وأجزاءه، حيث أثبتت الدراسات السابقة أن تصميم الفناء كان باعتماد نسبة محددة بلغت هذه النسبة في طول وعرض الفناء 3:4، واستخدمت نصف عرض البوابة كوحدة قياس (Doe, 1983).

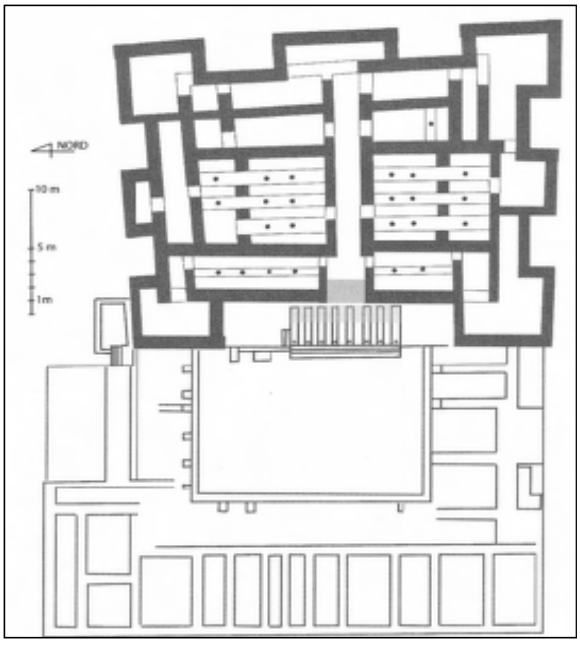

الشكل 17: مسقط أفقي للمبنى (Breton 2009)

الشكل 18: الدخلات والخرجات في الجدار الخارجي (الباحث)

3-3 المسكن في مملكة حضرموت

تعتبر حضرموت المملكة اليمنية القديمة التي لا تزال محافظة على اسمها حتى وقتنا الحاضر. وأقدم ذكر لمملكة حضرموت يعود إلى عصر الملك كرب إل وتر بن ذمار علي (حنشور، 2005)، حيث كانت تابعة لمملكة سبأ، وفي القرن الرابع قبل الميلاد كونت دولة مستقلة (الأغبري، 1994)، وكانت نهاية مملكة حضرموت في بداية القرن الرابع الميلادي على يد جيوش الملك شمر يهرعش ملك سبأ وذو ريدان.

واتخذت المملكة مدينة شبوة عاصمة لها، والتي تقع في وادي عرمة ووادي المعشار، كما تحتل المدينة موقعاً متميزاً عند ملتقى الطرق التي تربط المدن المحيطة وطرق التجارة (حنشور، 2007). هذا وقد تمّ الكشف على عددٍ من المباني السكنية في مدن مختلفة من حضرموت منها: شبوة، وريبون، وسونة، ومشغة. وسيتم اختيار نماذج محددة، وهي مساكن مدينة مشغة كنموذج للمسكن العادي، وقصر شقر في العاصمة شبوة كنموذج للقصر في المملكة الحضرمية.

أ- مساكن مشغة

تقع مدينة مشغة في وادي عدم أحد الروافد الجنوبية لوادي حضرموت، وتتخذ المساكن التي تمّ الكشف عنها في المدينة مساقط على الشكل المستطيل، حيث يتكون مسقطها الأفقي من رواق مركزي بالاتجاه الطولي للمسكن، يربط البوابة الوحيدة للمسكن مع السلم الحجري في الجهة المقابلة وتتوزع على جانبيه الغرف، ويفصل بين المساكن شوارع ضيقة (الشكل 19).

وقد صُمم لكل مسكن بوابة كبيرة بعرض الرواق، فيما تُفتح جميع أبواب غرف المسكن على الرواق، ويكون مستوى عتبتها مرتفعة بمقدار 1.5م عن مستوى أرضية الرواق، وهذا يشير إلى ان الدور الأرضي كان عبارة عن أماكن خزن، وأما الجهة المقابلة على نهاية الممر، فيوجد سلم يؤدي إلى الأدوار العليا، حيث يبلغ عرض الدرجات 22 سم، 24 سم، أو 28 سم، 30 سم (حنشور، 2005).

أما النظام الإنشائي المتبع في هذه المساكن، فهو عبارة عن قاعدة حجرية ترتفع عن مستوى الأرض بأكثر من مترين تكون قاعدة لجدران البناء الذي يركب عليه العوارض الخشبية الأفقية والعمودية، مكونة هيكلاً يتم بناء اللبن النيئ بداخله (الشكل 20)، وتكون أبعاد الهيكل الخشبي عمودياً، فكلّ 1,40 م يوجد عوارض أفقية، وتغلف الواجهة الخارجية للبناء بصفائح حجرية (حنشور، 2005). هذا وزُخرف بناء الجدران بزخارف ورسومات ملونة، وخصوصاً الممرات والسلالم المبنية بالبلاط الحجري (الجرو، 1998).

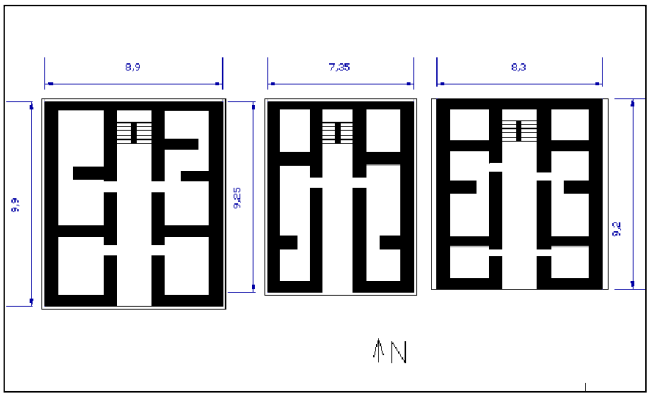

الشكل 19: مساقط أفقية لمساكن مشغة (الباحث)

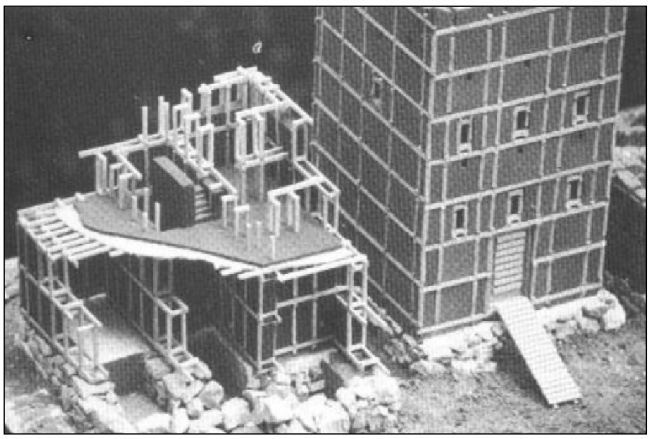

الشكل 20: تصور تخيلي وإعادة تركيب للمساكن ونظامها الإنشائي (حنشور 2005)

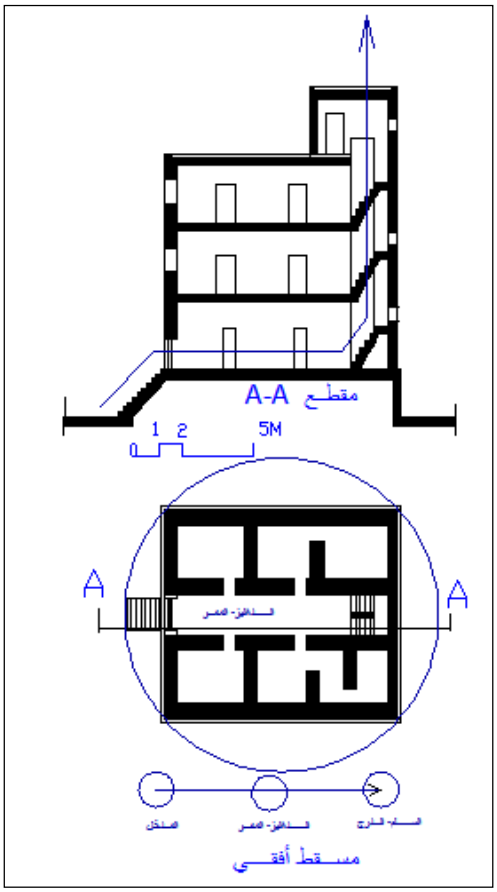

الشكل 21: مسقط ومقطع تخيلي لأحد المساكن (الباحث)

ب- قصر شقر في شبوة

قصر شقر - كما جاء اسمه في النقوش المسندية وعلى العملات الحضرمية - هو قصر المملكة الحضرمية الرئيسي، والقصر يقع على الجانب الأيمن من المدخل الشمالي الغربي لمدينة شبوة عاصمة المملكة. وقد صُمم القصر من جزءين (الأشكال 22، 23)؛ جزء رئيسي برجي (متعدد الطوابق) أبعاده 19.80*22.30 م، وجزء ذو فناء أبعاده 38.5* 32.5 م، ويُحمل رواقه أعمدة، والجزء الرئيسي مستطيل الشكل له بوابة واحدة تفتح على الفناء (سنيبه، 1996)، كما توجد بركة ماء في مواجهة الجهة الغربية للمبنى الرئيسي بأبعاد 7.8 * 2.6 م (الجرو، 2003).

بُني المبنى الرئيسي (متعدد الطوابق) على قاعدة حجرية مرتفعة يصل أرتفاعها 6.5م، ثم بُني فوقها بنظام هيكلي من هياكل خشبية وطين. هذا ويرتفع المبنى عن الفناء بمقدار 3.8 م، وقد بُني الجدار بالأسلوب المتدرج، حيث يتراجع المدماك العلوي عن السفلي، وتمّ صقل حواف الأحجار، وبُني الجدار مزدوجاً تربط بين وجهيه جدران عرضية بسمك 1.1م (سنيبه، 1996). والحقيقة، ان بناء قاعدة حجرية متدرجة بتقنية تراجع المداميك للخلف مع الأرتفاع لتشير إلى الجبال المقدسة، وإلى الصعود الروحاني إلى السماء.

وتمّ تكسية جدران القصر المبني بالهياكل الخشبية والطين بواسطة الأحجار الزخرفية وبأساليب متعددة، تمثلت أعمال التزيين في النوافذ الوهمية التي غُطيت بها الجدران، وزُينت بها المقاعد الحجرية، وهناك أفاريز من روؤس الوعول، وكذلك زخارف هندسية متكررة مع أشكال نجمية، كانت تحيط بالنوافذ الخشبية، والأعمدة المثمنة الشكل التي تعلوها ألواح خشبية مزينة بصفين من المسننات (ادوان، 1996).

هذا وقد تأثر نمط بناء القصر بمؤثرات خارجية وخصوصاً في الأعمال الفنية والتشكيلية، فهناك تأثيرات خارجية هلينسية على الأعمدة الحجرية؛ ففيها عناقيد العنب والحيوان الخرافي، وظهرت الأقواس والقطع العاجية التي تشابه بعض الأعمال القبطية، كما أن الأعمدة التي كانت تحمل أروقة الفناء عبارة عن أعمدة ثُمانية الأضلاع، مقطوعة من حجرٍ واحدٍ تحمل تيجاناً منشورية وأسفل كل عمود ميزاب حجري ينتهي برأس ثور، يعتبر تأثيراً محلياً وليس له علاقة بالفنون اليونانية والرومانية، أما زخرفة الأعمدة بأوراق الكروم فيظهر عليها التأثير الهلينسي، وتيجانها مزخرفة بحيوان خرافي بأجنحة ورأس أسد يظهر عليه التأثير البارثي (فيل، 1996).

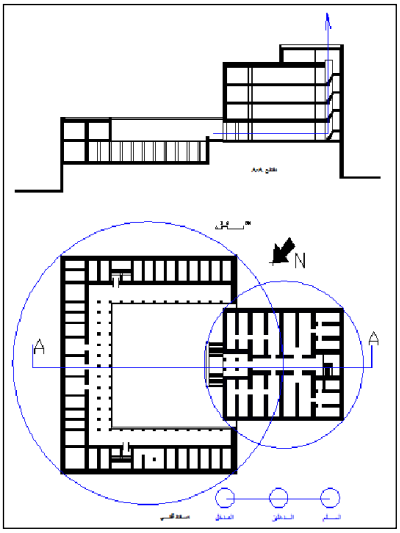

الشكل 22: مسقط ومقطع تخيلي للقصر (الباحث)

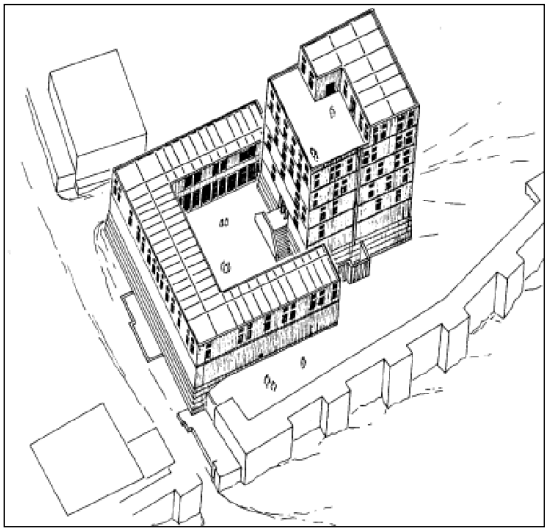

الشكل 23: منظور تخيلي للقصر (سنبيه 1996)

4 مناقشة مكونات وعناصر المسكن اليمني القديم

بشكل عام، فقد مثّل النمط البرجي نمطاً سائداً في هذه الفترة، وجاء محققاً للمتطلبات الأمنية والوظيفية والاقتصادية والرمزية. هذا وسيتم مناقشة مكونات وعناصر المسكن والقصر كالتالي:

4-1 أسلوب وتقنية البناء

تطورت تقنية وأساليب البناء الملائمة للنمط البرجي متعدد الطوابق؛ لما لهذا النمط من مميزات الأمن والأمان، وذلك وفق نظام دفاعي قوي. إذ بُنيت الجدران الخارجية من الأسفل بالحجر الصلد، وبسماكة كبيرة، وخلت الأدوار السفلية من الفتحات والنوافذ، حيث استُخدمت كأماكن وفراغات للحيوانات والخزن فقط. وقد بُنيت جدران المسكن من الأسفل بشكلٍ متدرج، ومن كتلٍ حجريةٍ كبيرةٍ ترتفع عن الأرض بعدة أمتار، ثم يُبنى الجدار من الأعلى بواسطة هيكل خشبي يُحشى بالطين، ثم تغلف بواسطة ألواح حجرية مزخرفة. وكان التسقيف باستخدام العوارض الخشبية التي توضع على الجدران وفي الاتجاة القصير للفضاء وذلك على مسافات محددة، ثم تفرش قطع خشبية صغيرة بشكل عمودي فوقها، ثم توضع فوقها طبقة من الطين والقش.

4-2 التنظيم الفضائي

جاء التنظيم الفضائي لجميع المساكن اليمنية القديمة متشابهاً، حيث تحتوي جميعها على ممرٍ وسطي، يخترق المسقط ليربط البوابة بالسلم، وتتوزع على جانبيه الغرف. وعادة يكون الدور الأرضي عبارة عن عدد من الغرف تُستخدم كأماكن وفراغات للخزن وللحيوانات، فيما تُستخدم الأدوار العليا للسكن. ويتميز القصر عن المسكن بوجود مبنيين؛ أحدهما برجي، والآخر أمامي يحتوي على ساحة بأروقة، ويحتوي الدور الأرضي على بئر للماء وذلك لتزويد المبنى بالمياة الضرورية. وحيث أن الدين يؤثر على شكل المبنى ومسقطه والتنظيمات الفراغية والتوجيه، بل حتى إن الدين يؤثر على قرار اختيار شكل المسقط إما دائرياً أو مربعاً أو غيره (Rapoport, 1969)؛ لأن الحنين العميق لدى الإنسان المتدين يكمن في العيش في مكان يشابه سكن الآلهة، وبذلك يصبح عالمه الصغير، الذي يسكن فيه مشابهاً لعالم الآلهة الكبير - الكون (إلياد، 1988). فعمد الإنسان اليمن إلى تبني شكل مسقط المعبد، واتخاذه كنموذج مثالي يُبني على نمطه مسكنه، حتى يصبح المكان الذي يعيش فيه يمتاز بالقداسة والطهارة، وبتبني مسقط المعبد كنموذج للمسكن يسبغ عليه صفة القداسة، فالارتباط بالنماذج المقدسة يجعل الماديات من الفعل البشري عملاً انطولوجياً خصوصاً اعمار الأماكن، حيث يتحول فيها كلّ عنصرٍ من عناصرها إلى عنصرٍ يحمل وظيفة رمزية، إضافة إلى وظيفته النفعية.

4-3 البوابة (المدخل)

بُنيت المساكن على قاعدة حجرية يصل ارتفاعها أحياناً إلى 4م، ويكون هذا المنسوب هو مستوى المدخل. كما صُممت البوابة على المحور الرئيسي للواجهة بحيث تفتح على عرض الرواق، ويتم الوصول إلى مستواها عبر سلم حجري (درج)، جاء ليشير إلى دور البوابة كحدّ فاصلٍ، يفصل بين الخارج (العام) والداخل (الخاص)، والوصول إليها عبر درج يرمز إلى دوره في الصعود الروحي إلى السماء. ومن جانب آخر، فقد ذُكر الباب في نقوش المسند بلفظ "خلف"، ويتكون الباب من مصراع أو مصراعين (علي ج8، 1993)، أما المدخل فهو عبارة عن باب له أكتاف جانبية، ويعلوه عتبة مستقيمة أو أفريز (بركات، 1986). وللباب عتبة "معقم" وعلى هذه العتبة يدون تاريخ البناء وعهد الملك والإله الحامي من أجل حماية البيت وساكنيه، ومنها نقش يدون بناء قصر (يفد) في مدينة شبوة وحماية الإله سين (الحسني 2006). ونقش عُثر عليه في حنو الزرير يعود إلى نهاية القرن الرابع ق.م، ببناء بيت ميفعم وتمّ توكيل حماية البيت إلى الآلهة عم وأنبي وذات رحبان، وهذا النقش كان على عتبة وضِعت على باب البيت (الحسني، 2012). كما استخدموا التمائم على أبواب المنشآت أو تحفظ في المنازل بغرض الحماية (سالم، 2011)، ويتم وضع تماثيل من زوج من الأسود على جانبي البوابة؛ لحماية المدخل وطرد الكائنات الشريرة (عقيل، 2010).

4-4 صالة التوزيع (الدهليز)

تُعد الصالة (الدهليز) محور الحركة الرئيسي، والذي يقسم مسقط المسكن إلى جزءين تتوزع الغرف على جانبيه، حيث يقع المدخل في بدايته، وعلى النهاية الأخرى يوجد سلم (درج حجري) ينقل الحركة إلى الأدوار العليا. وبالمقارنة لمسقط المعبد والبيت، فان المحور الوهمي الذي يربط البوابة بقدس الأقداس في المعبد جسد كصالة توزيع في المسكن. ويقوم الدهليز بوظيفة تهيئة الحركة ونقلها من الخارج إلى الداخل، كما يعزز الدهليز الخصوصية للمسكن ويمارس نوعاً من الفصل، وذلك بعزل المدخل عن العمق الداخلي للمسكن (الدرج والطوابق العليا المخصصة للأسرة)، ويكون ذلك من خلال تصميمه كممر طويلٍ ومسقوفٍ لا ينفتح مع الخارج إلى من جهة الباب، الذي يكون عادة بدون نوافذ، ممّا يجعل الدهليز مظلماً كدلالة على الحماية، ويعزز فكرة الدفاع عن المركز (الملكية الخاصة بأهل الدار) بعدم كسر حرمته.

4-5 السلم - الدرج

يوجد السلم في نهاية الصالة (الدهليز) على الضلع الخلفي المقابل للمدخل، ووظيفة السلم في المسكن نقل وربط الحركة بين المدخل وجميع الأدوار في المسكن. وقد جاء السلم (الدرج) كتصميمٍ ثابتٍ في نهاية الرواق، حيث يتكون من درجات حجرية حول عمود حجري، وتحمل الدرجات على القطب من جهة وعلى جدار بيت الدرج من الجهة المقابلة. والسلّم هو العنصر العمودي الأهم في المبنى السكني، وهو عموده الإنشائي، ويبنى السلم بالأحجار بعكس عناصر المبنى الأخرى، كما أن السلم يمثل المحور الرأسي المتجسد للرؤى العقائدية للسلم، الذي يربط السماء بالأرض ويربط الإنسان بالإله، والسلم في المسكن وعلى مستوى المسقط يحتل موقع المذبح في المسقط للمعبد، والذي يكون مكان المركز (المقدس).

4-6 الواجهات

اتسمت واجهات المساكن بنمطٍ وأسلوب معين يتفق مع النمط البرجي، بحيث يكون الدور الأرضي بدون نوافذ؛ وذلك لأغراض أمنية ووظيفية وإنشائية، وتبدأ النوافذ بالظهور في الدور الأول، وتكون النوافذ ضيقة وتتسع في الأدوار الأخيرة للمبنى. هذا، وزُينت القصور بالحجر بأنواعه المختلفة، والفضة، والعقيق، والفسيفساء، والجزع، والجوهر، فقد كتب المؤرخين أن الزخارف كانت مكملة للبناء داخلياً وخارجياً، وكانت نوعية الزخرفة من زهور الزئبق وسائر الزهور وأنواع الزركشة (السروري، 2002). وتميزت واجهات المباني بالزخارف والأبواب والنوافذ واللهوج والأفاريز، وكان يكمل البناء ويزخرف بالصدف وسنّ العاج والذهب والأحجار الكريمة (الحوالي، 1982). وكان اليمنيون يضعون بلاطة أو لوحة على واجهة المنزل، يكتبون عليها عبارات مختلفة ربما لجلب الحظ أو للحماية، ويبنى الجدار بتدرج في المداميك العليا عن السفلى بشكل هرمي، ممّا يجعل جدار الواجهة يظهر بشكلٍ مائل، كما تبنى الجدران من الأسفل بالأحجار الضخمة؛ لتشكل قاعدة يقوم عليها المبنى. وبشكل عام فإن الواجهة تتكون من عناصر رئيسية هي:

أ- الفتحات والنوافذ

اختلفت عدد ومساحة النوافذ بحسب موقعها في الأدوار، ووظيفة الفراغ الذي تخدمه، بحيث يزداد عددها وتتسع مساحتها كلما ارتفع البناء، فالدور الأرضي خالٍ من النوافذ، وتكون النوافذ صغيرة في الدور الأول ويزداد اتساعها كلما ارتفع البناء، وتكون النوافذ منسجمة مع الوظائف، وتبلغ ذروة اتساعها في الأدوار الأخيرة. ولقد تشكلت الفتحات من نافذ ومصمت (وهمي) في ثنائية تحكم نظامها، وهذه الثنائية تعبر عن الثنائية القطبية من روح وجسد، وعالم مرئي وغير مرئي، فالمصمت جاء ليشير إلى الروح، بينما يشير النافذ للجسد، ويُعبر النافذ عن العالم المرئي، ويُعبر المصمت عن العالم غير المرئي.

ب- التشكيلات الزخرفية

جاءت العناصر الزخرفية إما على شكل عناصر هيكلية كالأحزمة التي تنهي البناء، وهي عبارة عن أفاريز مسننة تطوق المبنى بالكامل، أو على شكل إفريز مجسم لصفوف الوعول (عقيل، 2010)، كما كان يعتلي المبنى بروزات، أو ينتهي السطح بوضع تماثيل رمزية غالباً ما تكون على هيئة ثور (حنشور، 2007). واستُخدمت المزاريب (الميازيب) الحجرية بكثرة، والتي تنتهي برأس ثور؛ وذلك لتصريف مياه الأمطار من الأسطح، ويتم تأطير الواجهة بواسطة أفاريز تفصل كلّ دور، كما تم معالجة جميع أحجار البناء بطريقة الصقل الناعم لحواف الحجر، وتنقر وسط الحجر نقراً خشناً، وكون المباني كانت تبنى بالهياكل الخشبية والطين، لذلك كانتْ تغلف الواجهة وتزخرف بألواح حجرية.

5 الاستنتاجات النهائية

سعى البحث الحالي إلى البحث عن عمارة يمنية قديمة، فكان الهدف الرئيسي إبراز تلك العمارة وإظهارها إلى حيز الوجود. كما حاول البحث بقدر المستطاع استخراج الأسس التصميمية والقيم الإنسانية الكامنة وراء تلك العمارة. وبناءً عليه، تناول البحث المسكن والقصر في اليمن القديم وذلك خلال فترة حكم دويلات المدن - الممالك اليمنية القديمة في الألف الأول ق.م، وتم استخلاص عدد من الاستنتاجات النهائية وهي كالتالي:

- أثرت البيئة والمناخ على عمران تلك الفترة، فتم اختيار الموقع تبعاً للمناخ الملائم، كما أثرت جيولوجيا الموقع على نوع البناء وأسلوبه من أحجار متواجدة في الموقع، ونوع الخشب المتوفر في الموقع.
- تمَّ تطوير نظام إنشائي قوي في أسلوب بناء للجدران يتسم بتدرج وتناقص في سماكة الجدران كلما ارتفع البناء، وتمَّ توظيف بناء هيكلي خشبي مع الطين، أنتج نمطاً بنائياً برجياً.
- صُمم المسكن وفقاً لنظام يستجيب للنواحي الدفاعي، فينبى على قاعدة حجرية، ويكون الدور الأرضي مبني بأحجار كبيرة الحجم وبسمك كبير للجدران، ويكون بدون نوافذ.
- يتشابه التنظيم الفضائي لجميع المساكن، حيث تتشكل جميعها من ممر وسطي يخترق مسقط المسكن ليربط البوابة بالدرج (السلم)، وتتوزع على جانبيه الغرف. وعادةً يكون الدور الأرضي عبارة عن غرف تستخدم للخزن وللحيوانات، وتستخدم الأدوار العليا للسكن.
- يتكون التنظيم الفضائي للمسكن اليمني القديم من ثلاثة أقسام رئيسية هي: القسم الخدمي (الخزن وأماكن للحيوانات) في الدور الأرضي، والقسم العام (استقبال الضيوف والزائرين) في الدور العلوي - الأخير، القسم الخاص (أماكن العائلة والنساء) في الأدوار الوسطية.
- وجود نمطية في بناء المساكن والقصور، حيث يتكون المسكن من مبنى منفرد يكون مسقطه مستطيلاً، ويتكون القصر من بناءين أحدهما برجي مستطيل المسقط يشبه المسكن، والآخر مبنى على شكل حرف U له أروقة.
- إن أول نموذج لمسقط المسكن البرجي كان مستطيلاً يخترقه ممر تتوزع الغرف على جانبيه، وينتهي الممر بسلم حجري يؤدي إلى الأدوار العليا، جاء هذا المسقط كنموذج تمَّ تكراره من مسقط المعبد، فالممر الوسطي للمسكن جسد الممر الوهمي الذي يربط البوابة بالمذبح، فيما جسد السلم المذبح (قدس الأقداس) الذي يمثل المركز، ومنه يمتد المحور العمودي الذي يربط الأرض بالسماء.

- عمد المعماري اليمني إلى تبني النماذج المرجعية المثلى؛ بهدف ترسيخ وتخليد النتاج المعماري. فقد تبني شكل مسقط المعبد، واتخاذه كنموذج مثالي يبني على نمطه مسكنه؛ حتى يصبح المكان الذي يعيش فيه يمتاز بالقداسة والطهارة، فالارتباط بالنماذج المقدسة يجعل الماديات من الفعل البشري عملاً انطولوجياً.
- تميز تخطيط المسكن والقصر اليمني بخصائص معينة، حيث تناظر المسقط والفضاءات حول ممر مركزي، وبتوجيه أركان المبنى إلى الجهات الأصلية. كما تميز التوزيع الفضائي بالنمط الرأسي حيث توزع الأقسام الوظيفية رأسياً في ادوار (طوابق) لتحقيق الخصوصية.

6 التوصيات

يُعد هذا البحث خطوة في اتجاه فهم تراث اليمن الحضاري وهي خطوة تحتاج إلى خطوات أخرى. ومن ناحية اخرى، فان العمارة اليمنية القديمة عبر مراحلها التاريخية تمثل عمارة يمنية متجذرة نابعة من بيئتها المحلية، وهي تشكل مصدراً ومرجعاً لممارسي العمارة، يمكنهم من خلالها استثمار مراجع فكرية وأسس تصميميه في اعمالهم الحديثة.

ويوصي البحث بضرورة الاهتمام والحفاظ على المباني اليمنية القديمة؛ كونها تمثل إرثاً تاريخياً أصيلاً يتطلب المحافظة عليه وحمايته من العبث والإهمال، ويتطلب تكاتف الجهود الرسمية والشعبية، ويجب توثيقها علمياً حسب القواعد والأصول العلمية المتبعة في التوثيق، من خلال المسح والتسجيل، والتصنيف، والبحث العلمي.

شكر وتنويه

اعبر عن جزيل امتناني وشكري لأبناء محافظتي شبوة ومأرب لحسن ضيافتهما لي وتسهيل الصعاب اثناء الدراسة الميدانية. كما اعبر عن جزيل امتناني وتقديري للإخوة: الدكتور صلاح الحسيني، والدكتور احمد حنشور، والدكتور جمال الحسني، والدكتور خلدون نعمان لما قاموا بتزويدي بالمراجع المطلوبة للبحث، والأخوة: عبد الإله محمد عامر، علي عبدربه علي النهمي، عبد العزيز محمد خولاني، عادل محمد الدحيدح، علي حفظ الله النهمي لمرافقتي ومساعدتي أثناء الدراسة الميدانية. وينبغي التنويه إلى ان البحث جزء مستل من رسالة الدكتوراه للباحث أحمد عبدربه علي النهمي، قسم الهندسة المعمارية، كلية الهندسة، جامعة القاهرة.

المراجع العربية

1. ادوان (ريمي)، "النحت والرسوم في قصر شبوة الملكي": شبوة عاصمة حضرموت القديمة: نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، أعداد عزة علي عقيل وجان بريتون، صنعاء، 1996.

2. الأغبري (فهمي)، التحصينات الدفاعية في اليمن القديم، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة بغداد، 1994.

3. البريهي (إبراهيم بن ناصر)، الحرف والصناعات في ضوء نقوش المسند الجنوبي، وزارة المعارف - وكالة الآثار والمتاحف، المملكة العربية السعودية، 2000.

4. الجرو (أسمهان)، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، عدن، 2003.

5. الجرو (أسمهان)، "الفكر الديني عند عرب جنوب شبه الجزيرة العربية: الألف الأول قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي"، *مجلة أبحاث اليرموك*، المجلد 14، العدد 1، ص 219-250، 1998.

6. الحسني (جمال) الإله سين في ديانة حضرموت القديمة: دراسة من خلال النقوش والآثار، رسالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة عدن، 2006.

7. الحسني (جمال) الإله عم وآلهة قتبان (٧٠٠ق.م – ١٧٠م)، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة طنطا، 2012.

8. الحوالي (محمد الأكوع)، اليمن الخضراء مهد الحضارة، ط2، مكتبة الجيل الجديد، اليمن، 1982.

9. السروري (عبد الجليل)، "المحات من فن العمارة والبناء في اليمن القديم"، *مجلة الإكليل*، العدد 26، ص 86- 99، 2002.

10. الشيباني (عبد الرقيب طاهر) وآخرون، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة: دراسة تحليلية على العاصمة صنعاء، إعداد وتنفيذ مركز الطاهر للاستشارات الهندسية، منظمة العواصم والمدن الإسلامية، جدة، 2005.

11. الشيبه (عبد الله حسن)، دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، تعز، 2000.

12. العريقي (منير)، الفن المعماري والفكر الديني في اليمن القديم من600/1500 ق.م، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2002.

13. الغامدي (عبد الكريم)، "عمارة المسكن وتخطيطه في جنوب شبه الجزيرة العربية في عصر ممالكها القديمة على ضوء المكتشفات الأثرية"، *مجلة جامعة الملك* عبد العزيز- الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد 8، ص 125-163، 1995.

14. القادري (عبد الناصر)، عمارة الأبراج في وادي حضرموت، دراسة حالة المنزل البرجي التقليدي بمدينة شبام، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الهندسة - جامعة القاهرة، 2006.

15. المذحجي (محمد)، "توصيف لخصائص التشكيل العمراني لمدينة صنعاء القديمة"، *مجلة تقنية البناء*، العدد 9، ص 74-89، 2006.

16. إلياد (ميرسيا)، المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1988.

17. بافقية (محمد)، "المحات من أعمال الصيانة والترميم في اليمن القديم"، *مجلة دراسات يمنية*، العدد 36، ص 52-67، 1989.

18. بركات (أبو العيون)، "الوعل في الحضارة اليمنية القديمة"، *مجلة اليمن الجديد - وزارة الثقافة والإعلام بصنعاء*، العدد 12، السنة 15، ص 35- 52، 1986.

19. بروتون، جان فرانسوا. "المسكن في مدينة شبوة بين الأصالة وتقاليد المناطق المجاورة"، (حفريات شبوة الجزء الثالث: العمارة وتقنيات البناء)، 1998، خلاصة مترجمة من كتاب (fouilles de shabwa iii).

20. بريتون (جان فرنسوا)، "البيت الشاهق والبيت ذو الفناء في اليمن القديم والمعاصر"، *مجلة دراسات يمنية، العدد 45*، ص263-264، 1992.

21. جميل، سميرة جمال. الخصائص العمرانية لمدينة صنعاء القديمة والاستفادة منها في العمارة المعاصرة، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الهندسة - جامعة القاهرة، 1999.

22. حنشور (أحمد)، الخصائص المعمارية للمدينة اليمنية القديمة، رسالة دكتوراه (غير منشورة)، كلية الآداب - جامعة عدن، 2007.

23. حنشور (أحمد)، نشوء وتطور العمارة اليمنية القديمة، دراسة أثرية تاريخية، 2005.

24. دي مغريه (ألساندرو)، وروبن (كريستيان)، تمنع العاصمة القديمة لقتبان، البعثة الإيطالية للآثار في الجمهورية اليمنية، ترجمة مالك الوسطي، المركز اليمني الايطالي للبحوث الأثرية، بحث رقم 3، 2006.

25. دي مغرية (الساندرو) وروبان (كريستيان)، التنقيبات الإيطالية في يلا (اليمن الشمالي سابقاً): معطيات جديدة حول التسلسل الزمني للحضارة العربية الجنوبية قبل الإسلام، ترجمة منير عربش، المركز الفرنسي للدراسات اليمنية، 1999.

26. سالم (هالة)، "التمائم في اليمن القديم"، *مجلة الجمعية التاريخية السعودية*، العدد 24، السنة 12، ص 7-42، 2011.

27. سنييه (جاك)، "القصر الملكي لشبوة: الهندسة المعمارية، تقنية البناء، تصور شكل القصر": شبوة عاصمة حضرموت القديمة: نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد عزة عقيل وجان بريتون، صنعاء، 1996.

28. عقيل (عزة) وبريتون (جان)، شبوة عاصمة حضرموت القديمة: نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، صنعاء، 1996.

29. عقيل (عزة علي)، البرونز في اليمن القديم: الجزء الأول التقنية التماثيل الزينة المعمارية، الصندوق الاجتماعي للتنمية، صنعاء، 2010.

30. علي (جواد)، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج8، ط2، جامعة بغداد، 1993.

31. فيل (أرنست)، "ملاحظات وإضافات عن زخارف القصر الملكي": شبوة عاصمة حضرموت القديمة: نتائج أعمال البعثة الأثرية الفرنسية اليمنية، إعداد عزة عقيل وجان بريتون، صنعاء، 1996.

REFERENCES

[1] Al-Suleihi, S.T., The Lyrical Facades of Sanaa, Master of Architecture, Department of Architecture, Massachusetts Institute of Technology, 1992.
[2] Breton, J.F., Fouilles de Shabwa iv, shabwa et son context architectural et artistique, CEFAS – SANAA, 2009.
[3] De Maigret, A., "Some reflection on the South Arabian bayt", *ABADY*, 10, pp. 101–109, 2005c.
[4] De Maigret, A., Arabia Felix: An Exploration of the Archaeological History of Yemen, Stacey International, London, 2002.
[5] Doe, B., Southern Arabia, Thames and Hudson, London, 1971.
[6] Doe, B., Monuments of South Arabia, the Oleander Press and the Falco Press, Italy, 1983.
[7] Japp, S., Der sogenannte verwaltungsbau in Sirwāh: vertreter eines besonderen bautypus in sudarabien, *ZORA5*, pp. 296-319, 2012.
[8] Loreto, R., "The House B/E. A Contextual Analysis of A workshop Inside The "Market Square" in Tamna, *Newsletter di Archeologia CISA*, 3 /1, pp. 229-264, 2012.
[9] Loreto, R., "South Arabian inscriptions from domestic buildings from Tamna and the archaeological evidence", *Journal of Arabian Archaeology and Epigraphy*, 22/1, pp. 59–96, 2011.
[10] Loreto, R., "Architectural decorations from the private buildings in the Market Square at Tamna", *Journal of Arabian Archaeology and Epigraphy*, 19/1, pp. 22 –47, 2008.
[11] Rapoport, A., House Form and Culture, London: Printice Hall Inc. 1969.
[12] Schloen, D., House of the Father as Fact: Patrimonialism in Ugarit and the Ancient Near East, Eisenbrauns, Indiana, 2001.
[13] Van Beek, G., "Monuments of Axum in the Light of South Arabian Archeology", *Journal of the American Oriental Society*, 87/2, pp. 113 -122, 1967.
[14] Varanda, F., Tradition and Change in the Built Space of Yemen, Ph.D dissertation, University of Durham, 1994.